

العسكري والشاعر والرياضياتي سليم الجزائري (1879-1916)

محمد مرابط

أستاذ بقسم الرياضيات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

merabetmohamed02@gmail.com

تصدير

قبل احتلال الجزائر من قبل الإستعمار الفرنسي في سنة 1830، كان الجزائريون يشدّون الرحال إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج أو العمرة أو لطلب العلم، أو للتجارة. أمّا بعد الاحتلال فقد اتخذت هجرة الجزائريين صبغة أخرى، حيث تعدّدت مقاصدهم، مع توقّف مقاومة الأمير عبد القادر (1808-1883). فمنهم من قصد تونس، ومنهم من توجه إلى المغرب الأقصى، كما اختار البعض وجهة الحجاز. وهناك من كانت وجهته الشام كعائلة سليم الجزائري (1879-1916).

نوّد في هذا المقام التعريف بالعسكري في الجيش العثماني، والشاعر، والرياضياتي سليم الجزائري، من خلال إبراز جهوده العسكرية، والعلمية، وإلقاء الضوء على بعض جوانب حياته.

1. حياته

هو سليم بن محمد بن سعيد الحسيني الجزائري، ويعرف أيضا بسليم بن محمد بن سعيد بن صالح الحسني السمعوني الوغليسي، المعروف بالجزائري. ولد في العاصمة السورية دمشق عام 1879، ونشأ وتربى وتعلّم على يد والده وعمّه الشيخ طاهر الجزائري (1852-1920). ويعتبر الشيخ طاهر الجزائري إحدى الشخصيات ذائعة الصيت التي كانت لها مشاركة فعالة في عصر النهضة العربية، خلال القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين، وله عدّة مؤلّفات، منها كتاب في الحساب والمساحة.

ينتمي سليم الجزائري إلى قبيلة سمعون التي كانت تقيم في منطقة زواوة قرب بجاية. وجدّه هو الشيخ صالح، أحد علماء الجزائر الذي كان فقيها، واشتهر بعلم الفلك وعلم الميقات، وله فيه رسالة، كما كان له ميول لعلوم الطبيعة والرياضيات. هاجر الشيخ صالح مع عائلته إلى المشرق العربي، وبالبضبط نحو دمشق رفقة مجموعة من المشايخ. عُرِفَت هاته الهجرة بهجرة المشايخ (1847)، وتزامنت مع توقف مقاومة الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1847.

درس سليم الجزائري مبادئ العلوم وحفظ ما تيسّر من القرآن بالمدرسة الجقمقية المجاورة للمسجد الأموي بدمشق، ثم تابع دراسته بالمدارس الابتدائية الأميرية. التحق بعدها بالمكتب الرشدي العسكري ليتخرج ضابطاً من ضباط أركان الحرب. ثمّ تمّ تعيينه في الدائرة العسكرية التابعة لمدينة دمشق.

كُفِّف سليم الجزائري رفقة عزت باشا الألباني (1864-1937) بإخماد نار الفتنة التي حدثت باليمن آنذاك، لكنّه وقع في الأسر رفقة مجموعة من الضباط، عانى فيها ويلات الأسر والتعذيب. واستطاع بفضل حنكته العسكرية أن يُخلّص نفسه ورفقائه من الأسر.

لقد كان لسليم الجزائري دور كبير في إخماد الفتنة التي اتهم فيها سليم ورجاله، المنضويين تحت لواء العهد الجديد المتمثل في الأتراك الأحرار، بالمطالبة برفع الحجاب على النساء. حيث كان له ردٌّ على التهمة الموجهة له ولرفاقه بخطاب شهير بالعربية، أذهل فيه الحضور بثقافته، وبلاغته، وحسن اطلاعه. ولما زار الشيخ رشيد رضا (1865-

(1935) دمشق في رمضان (1326هـ/1908م) وأخذ يلقي دروساً بجامعة الأموي، أتهم كذلك سليم الجزائري بتسهيل، بل وتشجيع الشيخ على نشاطه الدعوي الذي يعارض توجه قادة الأتراك الأحرار وأتباعهم في الشام. وتعد هاته الحادثة القطرة التي أفاضت كأس بقاء سليم الجزائري في سورية إذ سرعان ما انتقل إلى الأستانة (إسطنبول).

وفي إسطنبول، عُيّن سليم الجزائري مدرّساً في المكتب الحربي. فكان يُبرز في دروسه دور الصحابة رضي الله عنهم في قيادة الفتوحات، أمثال خالد بن الوليد (592-642م) رضي الله عنه. وفضلاً عن ذلك، كان يُشيد بالدور العربي الكبير في الجيش العثماني، ممّا أدى بمدير المكتب إلى التعرّض له في أكثر من مناسبة، فكان ردّه: "إنّ الأمم التي ليس لها أبطال في القرون الخالية تفتخر بهم، يجوز لها أن تستعير الأبطال الغرباء وتتغنى بأسمائهم، وهذا من صفات الأقيام الحقيرة التي لا يابها لها. والعربي الذي يُغفل خالد بن الوليد ليتغنى بنا بليون بونا برت Napoléon Bonaparte (1769-1821) هو صعلوك ما ذاق الأنفة ولا عرف عزة النفس".

لقد شغل سليم الجزائري عديد الوظائف العسكرية، لعلّ أبرزها:

رئاسة أركان الحرب للفرقة التي حررت من البلغاريين مدينة أدرنة Edirne التركية الواقعة قرب الحدود البلغارية اليونانية، حيث كان أول ضابط عربي دخل تلك المدينة بعد وقوعها بيد البلغاريين.

- كان عضواً في هيئة أركان الحرب في الدردنيل.
- قائد لسواحل سورية.

إضافة لمنصبه العسكرية كان عضواً بارزاً في كل من:

- المنتدى الأدبي الذي أنشئ في الأستانة سنة 1908، وضم العرب المقيمين. وعرف المنتدى بإقامته لحفلات تنشد فيها الأناشيد القومية العربية، وتلقى فيها محاضرات تبرز مآثر العرب وحقوقهم. كما أصدر المنتدى مجلة يكتب فيها الأدباء والشعراء والعلماء العرب، لإبراز كل ما يتصل بالعروبة وتاريخها المجيد.
- الجمعية القحطانية التي تأسست سنة 1909. وكان سليم الجزائري أحد مؤسسيها وكانت تناضل من أجل السيطرة على مؤسسات الولايات العربية مع المحافظة على الولاء للخلافة العثمانية.
- جمعية العهد التي أسست في باريس سنة 1911، ثم نُقل مقرّها إلى بيروت سنة 1913، وبعدها إلى دمشق في نفس السنة، لتحلّ محلّ جمعية القحطانية، وتتبنى نفس مبادئها. وكان سليم الجزائري أحد أهمّ أعضائها.
- الجمعية العربية الفتاة التي رأت النور سنة 1911، وتعتبر من أشهر الجمعيات السياسية العربية التي سعت للتخلص من الهيمنة العثمانية. ويعدّ سليم الجزائري من أبرز أعضائها النشطين.

2. إسهاماته

أتقن سليم الجزائري اللغة التركية والفارسية بالإضافة إلى العربية والمأمله بالفرنسية. كما كانت له دراية بالألمانية والإنجليزية، زيادة على لسانه الزواوي. كما نظم سليم الجزائري بالعربية أشعاراً وأناشيد حماسية مثل قصيدة "يا بلادي" وقصيدة "وطني" وقصيدة "افتخار".

وكان سليم الجزائري رياضياتياً مولعاً بالمنطق، إذ ألّف فيه كُتَيْباً أسماه "ميزان الحق في المنطق"، والذي عُثِر عليه في المكتبة الظاهرية بدمشق بعد وفاته. وصدر عن المطبعة الحربية بدمشق سنة 1920 في 45 صفحة. يشرح سليم الجزائري سبب تأليفه لهذا الكُتَيْب بقوله: "فأحببت أن أكتب ما تيسر لي بعد تتبع وتفكر طويل إجابة لطلب

بعض عشاق العلم وناصريه وطلاب الحق وقاصديه. فإن أهدت أحداً فيما كتبت فتلك الغاية التي أرمي إليها وإلا فعلى الأقل أكون قد نهيت الأفكار للزوم إصلاح هذا الفن المهم عسى أن يتوفق إلى ذلك من هو أوسع اطلاعاً وتفكيراً مني" وله كتاب آخر مفقود يؤرخ فيه لحادثة وقعت في رمضان (1326هـ/1908م) بالمسجد الأموي. كما صمّم "بركارا" أي مدوّرا، أسماه "البركار العربي"، يُحمل في الجيب، ويستخدم لرسم الخطوط المستقيمة والمتوازية والدوائر. لكنّ رحيله حال دون تسجيل براءة اختراعه في أوروبا أيامئذ.

3. وفاته

في سنة 1916 صدر أمر بتعيين سليم الجزائري قائدا لسواحل سورية. وعند وصوله إلى عالية في لبنان تمّ استدعاؤه من طرف الديوان العرفي عن طريق ضابط المحطة لأمر بسيط. ولكن بمجرد وصوله تمّ تجريده من سلاحه وإيقافه مع مجموعة من رفاقه، وُجِّه بهم في السجن بتهمة بثّ الروح القومية العربية في نفوس الضباط العرب في الجيش العثماني عن طريق الأناشيد والأشعار التي نظمها، فضلا عن اشتراكه مع عزيز علي (1880-1965) في تشكيل حزب العهد وملازمته لحلقات عمّه الشيخ طاهر الجزائري، الذي عارض سياسة التتريك. وكان الشيخ طاهر من دعاة الجامعة الإسلامية، وكان له الفضل الأكبر في إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق، ودار الكتب الخالدية في القدس. وكان من أوائل أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ففي فجر السادس من شهر ماي سنة 1916، سيق سليم الجزائري لحبل المشنقة رفقة رفاقه، ونقذ فهم حكم الإعدام شنقاً على يد جمال باشا (1873-1922) المشهور بالسّفاح. وانضمّ بذلك سليم الجزائري إلى قائمة شهداء القومية العربية.

4. مقدمة كتابه

للتعرف على أسلوب سليم الجزائري في الكتابة، نورد فيما يلي مقدمة كتابه "ميزان الحق في المنطق" الذي طُبِع في المطبعة الحربية بدمشق سنة 1920، ونسخة الكتاب الذي أخذنا منها المقدمة محفوظة في مكتبة جامعة برنستون Princeton الأمريكية. وقد كُتِب تحت عنوان الكتاب "تأليف شهيد الوطن، قائم مقام أركان الحرب المرحوم محمد سعيد الجزائري الحسني":

"مقدمة"

لقد اشتهر بين مؤلفي العرب أن واضع علم المنطق ومبتدعه هو أرسططالس وأنه لم يجد لمن تقدمه غير كتاب المقولات، وأنه انتبه إلى وضعه وترتيبه من مطالعته في كتاب أقليدس في الهندسة، وقد قسمه على تسعة أبواب جعل لكل منها كتابا ترجمت كلها في زمن أبي جعفر المنصور. ولخصت مرارا وحذا جميع مؤلفي العرب حذوها على أن منهم من توسط ومنهم من بسط.

إلا أن معظمهم جمعها مع الالهيات والطبيعيات، ولكن كلها ترجع إلى نبع واحد وترتيب واحد يدور البحث فيها على الألفاظ ودلالاتها والحدود وأنواعها وأسمائها المختلفة والشروط التي يجب تحريها في صور القضايا وأنواع ضرورها المنتجة وغير ذلك. وإنك لترى المتصدي لمطالعتها لا يفتأ يشحد فكره في فهم الأقسام والأنواع، ويتعب ذهنه في ضبطها وحفظ أسمائها حتى يمتلئ دماغه ويملّ أو يستولي عليه الدهول، فيضيع بين الأقسام وتختلط عليه الأنواع والتعاريف بحيث لا يعرف لنفسه مخرجا.

وإن أسعفه الحظ بعد طول الصبر والمعاناة لإتمامه يصبح متعلماً علماً آليا يختص بالألفاظ وأنواعها وصور القضايا وأسمائها وأشكال الأقيسة وأقسامها. هذا إن أمكنه التوسع من تلقاء نفسه أو قيض له مرشد يدرّبه في تعميم

القواعد على أمثلة مختلفة وتطبيقها على المحاورات التي لا يخلو الإنسان منها كل يوم. إذ أن أكثر المؤلفين لهم أمثلة محدودة لم يحددوا عنها، هذا عدا عن أن أكثرها غير صحيح بحيث ألفتها المتعلم ورسخت في ذهنه كأنها قاعدة أولية أساسية فيدخل عليه بسببها كثير من الأغلط.

ولا يخفى أن الإنسان عند البحث والمناقشة قد لا ينتبه إلى شكل العبارات لاشتغال ذهنه بالمعاني، ولهذا لا يفيد في أغلب الأحيان ما تعلمه من القواعد الخاصة بصور العبارات، خصوصا إذا كان الموضوع دقيقا أو تداخلت الأقيسة، وتسلسلت؛ بل كان اللازم له دليلا يهديه إلى تمييز الصدق من الكذب بدون التفات إلى شكل العبارة. فأحببت أن أكتب ما تيسر لي بعد تتبع وتفكير طويل إجابة لطلب بعض عشاق العلم وناصريه وطلاب الحق وقاصديه. فإن أفدت أحدا فيما كتبت فتلك الغاية التي أرمي إليها، وإلا فعلى الأقل أكون قد نهيت الأفكار للزوم إصلاح هذا الفن المهم، عسى أن يتوفق إلى ذلك من هو أوسع اطلاعا وتفكرا مني.

4 المحرم سنة 1325

قول أغاسي من أركان حرب الفيلق الخامس التركي

محمد سليم الجزائري الحسني"

مراجع

1. مير بصري: أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، لندن، 1999.
2. محمد سليم الجزائري الحسني، ميزان الحق في المنطق، الطبعة الأولى، المطبعة الحربية بدمشق، سوريا، 1920.
3. سهيل الخالدي: دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق (1847-1949)، دار هومة، الجزائر، 2013.
4. فوزي الخطبا: شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، عمان، الأردن، 1998.